الظواهري.. أصدقائي جعلونى قاتلا

إن أردت أن تنظر إلى شاب ذو أصول عائلية عالية، وشهادة جامعية مرموقة، وثقافة مطلعة واسعة، ثم يصبح متطرفًا، بل وزعيم أكبر شبكة مسلحة في العالم، فعليك بأيمن الظواهري، فلا العائلة ولا الشهادة، ولا الثقافة تمنع من التطرف أو الإرهاب، لكن هناك شيء آخر وهو ما سيظهر في الأسطر التالية.

ولد أيمن الظواهري عام ١٩٥١ في حي المعادي الذي تقيم فيه العائلات الغنية والعريقة بالقاهرة، وأبوه هو الدكتور محمد الظواهري من أشهر أطباء مصر والعرب، وجده لوالده الشيخ محمد الظواهري أحد شيوخ الأزهر، وجده لوالدته هو عبد الوهاب عزام، أحد أهم رجال الأدب والنفوذ بمصر في مرحلة ما قبل ثورة ١٩٥٢، وأخوه عبد الرحمن عزام أول أمين عام للجامعة العربية، وخاله سالم عزام أمين المجلس الإسلامي الأوروبي، وخاله الآخر محفوظ عزام نائب رئيس حزب العمل المصري.

obeikandi.com

في إحدى المرات توفي قريب له، فوجد في نعيه بجريدة قومية، أكثر من ٥٥ طبيبًا من عائلته، منهم أخته التوأم أمينة، التي تعيش بالقاهرة، ودائمًا ما يتم توقيفها بالمطارات، بسبب تشابهها معه باسم العائلة.

التحق أيمن الظواهري بكلية الطب، وأكمل الماجستير في الجراحة من جامعة القاهرة عام ١٩٧٨، ثم حصل على درجة الدكتوراه في الجراحة من الجامعات الباكستانية.

نشأ أيمن في بيئة متزمتة دينيا، وكان حريصا منذ طفولته على أداء الصلاة في المسجد وحضور الدروس وحلقات العلم مثل محاضرات المستشار مصطفى كامل، وصفي نائب رئيس مجلس الدولة.

تزوج من عزة أنور الصادق رزق، وكان يحبها بشغف، وأبوها هو أنور الصادق نوير عميد عائلة نوير، من أعيان صفط تراب بمحافظة الغربية، وهو محامي معروف، ومستشار بهيئة تعمير الصحاري سابقًا، وأمها نبيلة محمد جلال، المديرة السابقة في وزارة الشئون الاجتماعية، وجدها لأمها هو الشريف محمد بك جلال، وجدتها لأمها هي فاطمة رفاعة رافع الطهطاوي.

ولدت عزة بحي الدقي التابع لمحافظة الجيزة ونشأت في إحدى فيلله نشأة مترفة، ثم انتقلت مع أسرتها في عمارة أسستها الأسرة في حي المعادي، ثم سكنت بالقرب من فيلا أسرة الدكتور أيمن الظواهري، وبعد تخرجها من كلية الآداب، قسم الفلسفة بجامعة القاهرة وذلك عام ١٩٧٧م، تقدم لها أيمن الظواهري عن طريق بعض المعارف،

هو أيضا كان يبحث عن عروس، وأقيم حفل زواجهما في فندق شبرد بالقاهرة، وكان فرحا إسلاميا، لم يتم التقاط أي صور فيه بناء على رغبة العروسين، وفق ما ورد بشبكة شموخ الإسلام، التابعة للقاعدة.

يقول عنها الظواهري: ظللت ستة أشهر وانقطعت عنها أخباري تمامًا لأنني كنت في سجن داغستان، ولما هربت من السجن، أذكر أنني اتصلت بها بعد وصولي لقندهار، وقالت لي: لا تتركنا، ولو كنت تعيش في حفرة فسنعيش معك، وعشنا في بيت مكون من ثلاث غرف، اثنان لنا وواحدة للضيوف، بلا ماء إلا من بئر في فنائه ولا كهرباء، وأشهد الله أني ما عشت في حياتي في بيت أفضل من ذلك البيت، ولا في جوار أفضل من ذلك الجوار.

لما سأله نبيل نعيم وهو في أفغانستان، وفق ما ذكره لى: ألا تريد الزواج عليها قال له لا، إننى أحبها، وإنها أم أولادي، لكنه لما قتلت هى وابنه محمد وابنته عائشة، تزوج من أميمة حسن الملقبة بـ(أم خالد)، وكانت في الأساس زوجة القيادي طارق أنور مسئول العمليات الخاصة في «القاعدة»، ثم تزوج (أم تسنيم) واسمها «سيدة» من عائلة حلاوة، وهي أرملة الجهادي أحمد النجار القيادي بتنظيم القاعدة الذي قتل في أفغانستان.

إلى هنا الأمور قد تكون معروفة، لكن الشيء المهم هو كيف أصبح الظواهري المترف الأرستقراطي، زعيمًا للقاعدة؟

ثلاثة أشياء تسببت أن نرى الظواهري جهاديًا مفخخًا، يدعو

للانتحار، وفق ما ورد في كتابه (ريح الجنة.. أدلة جواز الاستشهاد في سبيل الله).

الأولى هى أنه سليل والد عبقرى له ١٦ براءة اختراع طبية، وعم أيضًا بنفس المستوى، دفعته عبقريته إلى أن ينتحر في الفيلا التي كان يسكن بها بمفرده، كما توفيت والدته بسببه، وكانت هى نقطة البداية، التي جعلته دائم الذهاب إلى المساجد.

يذكر عمه عزام الظواهري ذلك فيقول: «كان أيمن من أكثر الناس تهذبًا في عائلتنا والجميع يشهد له بالأدب وحسن المعاملة.. لم يسبب مشكلة يومًا ما لأسرته سوى اعتناقه لذلك الفكر والتيار الذي سار فيه.. كان متفوقا في دراسته وقارئا نهمًا.. وموسوعة في ما يعرف من معلومات بشكل يفوق أقرانه في العائلة.. حيث أنه كان محط فخر أسرته وبخاصة أبيه الذي مات محسورًا على ولديه أيمن ومحمد.. أما والدته، رحمها الله ـ كانت تحيا على أمل أن ترى ولدها أو تسمع عنه أي شيء يطمئنها لكن القدر لم يمهلها؛ فلم يكن أحد فينا يتصور أن يكون هذا هو مستقبل أيمن أو مصيره، لأن أخوته يعانون كثيرًا من الطريق الذي سار فيه إبان نظام الرئيس المخلوع مبارك».

الثانية، هى أنه لما بدأ ترحاله للمساجد، وبدأ الرحلة إلى المشايخ، كان دائم القعود والصلاة بمسجد (قولة)، بالقرب من ميدان عابدين، وساعتها كان يعطي الدروس الدينية الشيخ المشهور خليل هراس، أستاذ العقيدة،

الذي له شروحات وكتب كثيرة نشرتها له المملكة العربية السعودية، التي انتقل إليها فيما بعد، وكان الرجل قطبيًا بامتياز، فتربى الظواهري وزملائه نبيل البرعي، وإسماعيل طنطاوي وغيرهم على أفكاره.

أثر نبيل البرعى، (من حي المعادى) مؤسس تنظيم الجهاد الحقيقي بمصر، في الظواهري، وساعتها كان معهم علوي مصطفى (من حى مصر الجديدة) وإسماعيل طنطاوي (من حى المنيل)، وكانوا جميعًا طلبة في الثانوية العامة وقتها ولقد تخرج إسماعيل من كلية الهندسة بجامعة الأزهر فيما بعد كما تخرج علوي من كلية الهندسة أيضًا بينما تأخر البرعى دراسيًا ثم التحق بكلية الآداب بجامعة بيروت.

أصبحت هذه المجموعة تنظيمًا يضم عددًا من المجموعات في القاهرة والجيزة والإسكندرية وربما قليل من المحافظات الأخرى وكانوا جميعًا من طلبة ثانوي أو الجامعة لكن التنظيم استمر سنوات، وكان من بين أعضائه، يحيى هاشم، ورفاعي سرور وأيضًا كان من أعضائه محمد إسماعيل المقدم، شيخ المدرسة السلفية الآن.

كان من رفقائه أيضًا، أمين الدميري، وسيد إمام عبد العزيز (صاحب المراجعات المعروف)، والمهندس محمد عبد الرحيم الشرقاوي، وخالد مدحت الفقي، وخالد عبد السميع، ومحمد الظواهري شقيقه، وسيد موسى، والأخير استطاع إقناعهم بضرورة العمل السري داخل الجيش، وأدخل إخوته الاثنين كضباط، و١٠ آخرين، مات منهم ٦ بما فيهم إخوته في حرب ٧٣، وأثر هذا فيه كثيرًا

obeikandl.com

فتحول للتصوف وترك الجماعة تمامًا وبقى منهم ٦ آخرون كان من بينهم الضابط الشهير عصام القمري.

أما الثالثة فهي أن كل من اقترب من أيمن الظواهري يدرك أن به عيبان خطيران، وهما، أنه يتأثر بمن حوله جدًا، وأنه ليس له القدرة على أخذ القرارات المناسبة، أى يفتقد لحنكة القائد الفطري، لذا فقد كان أول من اعترف على المنتسبين للجيش، وقال له القمري، لو عشت فلا تتولى إمارة أبدًا، لكنه تولاها وأصبح زعيمًا للقاعدة، وعلى هذا يتهمه داعش، أنه أرجع التنظيم للوراء.

في هذا قصة، يذكرها منتصر الزيات في كتابه (الظواهري كما عرفته): تنقل محاضر التحقيقات المصرية أن الظواهري قاد رجال الشرطة المصري إلى موعد لقائه مع مسئوله الضابط «عصام القمري»، أي أنه سلّمه للشرطة. وهذه النقطة لا يوردها «أبو قتادة»، مع أنها نقطة حاسمة. ويكتفي بالإشارة إلى «إجباره- أي الظواهري- على الشهادة ضد إخوانه في المحكمة العسكرية». كما تنقل أوساط مصرية متعدّدة كلامًا منسوبًا لـ»عصام القمري» (الذي قتل لاحقًا بعد فراره من السجن) يقول فيه مخاطبًا الظواهري: «لا تكن أميرًا على جماعة أبدًا».

بينما يرى عبد القادر عبد العزيز، واسمه الحقيقي سيد إمام، زعيم تنظيم الجهاد سابقًا، إن ملخص حياة الظواهري هو تاريخ مُظلم من الفشل المزمن، بعد أن تخصص في فقه التبرير، الأولى في قضية الجهاد

الكبرى عام ١٩٨١ حينما أوقع بأفراد مجموعته، وأرشد عنهم وشهد ضدهم في المحكمة، لينجو بنفسه، ثم تباكى عليهم كعادته، والثانية في عام ١٩٩٣، حينما دفع إخوانه للصدام في مصر وبأموال المخابرات السودانية، ففشلت أول عملية، وامتلأت السجون بالمئات منهم.

في سجون عام ٨١، كتب الظواهري قصيدته الأولى، ليدعو الزمر وعمر عبد الرحمن للوحدة بعد خلافهما على جواز إمامة الضرير والأسير:

أخا الإسلام أقبل لا تبالي.. تشق لفجرنا سود الليالي

وشد بعزمه في الله أزري.. شريكي أنت في نصري وقهري

لنحرك صوب الأعداء ونحري.. فصن صدري فأنت اليوم درعي

أخي إني أريدك لا تدعني.. وإن بي ضاق صدرك من يسعني

أأبكي دون أن تبكي لحزني.. وجفنك بارد لم يبك دمعه

رغم ما كتب إلا أنه بعد خروجه أصر على عدم جواز إمامة عمر عبد الرحمن، حتى يحتفظ هو لنفسه بالقيادة، فهو كما يحب القطبية والتكفير، يعشق الإمارة، وهذا ما يجعله يأخذ قرارات ترضى إخوانه، مثل القرار الذي أخذه في إعدام صبي في الخامسة عشر من عمره وهو ابن أحد قادة التنظيم بتهمة التجسس على الجماعة، وقد أعدمه في السودان عام ١٩٩٤ أمام والده ومجموعة من قادة وعناصر

ooeikandil.com

الجماعة، وأعدم في باكستان القيادي محمد عبد العليم لأنه أثناء اعتقاله في مصر اعترف بمعلومات أدت إلى اعتقال عصام عبد المجيد أحد قادة التنظيم السريين في مصر، هذا برغم أن الظواهري نفسه كان قد اعترف في أثناء اعتقاله ما بين عامي ١٩٨١ و١٩٨٤ بمعلومات أدت إلى اعتقال عصام القمري، واستخدم هو أيضا شاهد إثبات على زملاء له أدينوا بأحكام قاسية، وهذا ما جعله يهاجر عام ١٩٨٥ من مصر إلى السعودية ثم باكستان وأفغانستان بسبب الألم النفسي وعذاب الضمير الذي تسبب فيه اعترافه على زملائه.

الظواهري مرَّ بنكبات كثيرة، أولها انتحار عمه، ثم وفاة أمه حزنًا عليه، ثم مقتل زوجته وولديه، ثم التفاف أصدقائه القطبيين حوله، وبعدها انهياره النفسي عقب اعترافه على زملائه، وبعدها لقائه ببن لادن، الذى التصق به حتى قتل، ما دفعه لتولى قيادة القاعدة، ليصبح الآن أخطر إرهابي عالمي.

obeikandl.com